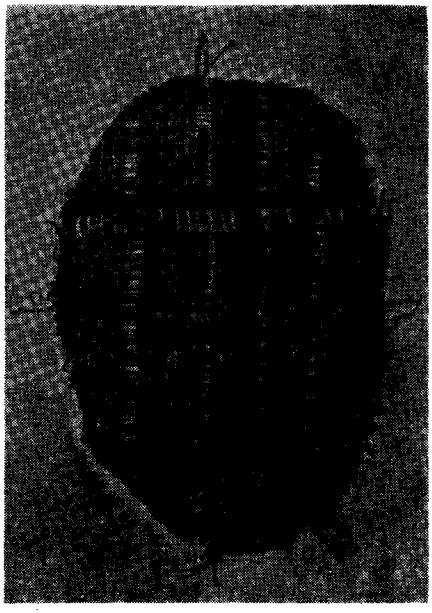

أحمد شرقاوي

ولد احمد شرقاوي سنة ١٩٣٤ فهو ، اذاً ، في حدود الثلاثين . ورغم حداثة سنه فقد فرض نفسه في المغرب ، رائدا لمدرسة الرسم المغربية ، وفي الخارج رساما جعلت منه دربته ، رغم تأثير بعض الاعلام الاوربيين ، اكثر الفنانين اصالة في الحضارة العربية الاسلامية .

واذا كان بادىء بدء قد شرع ، في لوحاته الاولى ، يجوب الواقع مهيمنا عليه ومؤديا وجوهه المختلفة بمهارة واقتصاد في الوسائل يذكراننا بالفنانين كلي او ماتيس ، فان الفن التجريدي او بالاحرى الفن اللاشكلي يفعل فعله في هذا الفنان الذي يبحث عن دربة ينتهجها . انه الهدف الذي تصبو روحه اليه .

لقد فتح عينيه لدى مشاهدته نتاج بيسيار خلال زيارة لمتحف الفن العصري في باريس سنة ١٩٥٦ . عندها اجهش بالبكاء قائلا : « انني صعقت فعلا ، وكان يخيل اليّ انني سلبت ما هو لي » . وهكذا ارتسمت الطريق .

تسلح شرقاوي بالصبر والشجاعة بين احضان الآلة وجلبة الواقع اليومي ، فاحتفظ بنفس الطفل وراح يخط ، دونما عنف او مهارة ، سائر التعاريج التي تدرجت عليها نفسه نحو الفرح الاكبر والمكافأة الكبرى ، اعني الانصهار في النظام الالهي . لقد شرح القرآن على طريقته الشخصية (« التاج » ، « الفلق ») ، وشرح الحديث (« الهرب نحو المدينة ») ، وشرح الانجيل (« جبل الزيتون ») . ثم تقصى شعائر التقليد الشعبي المغربي ومدلولها .

من هنا تطورت في نتاجه رمزية غنية متنوعة : رمزية القرآن الكريم والكتاب المقدس ، ورمزية دينية وصوفية ، ورمزية السحر ومضمون الوشم . ولكن دون اي بحث نظري . بل انما الدربة هي سعي جاهد طويل وراء المطلق في كلمته وظهوراته : « فاينما تولوا فثم وجه الله » .

وهكذا فان شرقاوي – رغم وقوفه على دقائق الصناعة وقواعد الرسم : ايقاعات متناغمة ، تناسب عدل بين الالوان ، تآلف لوني اخاذ – ليس رسام الفن للفن . لقد قيل بصدده انه لا شكلي . قد يكون ذلك شرط ان نفهم به ان شرقاوي هو رسام التأمل ، رسام مجهودات النفس على الجسد . ذلك بان فنه هو شاهد على حياته التي تتجمع كلها في العمق . انه انعكاس لها .

وليس هذا التأمل ثمرة امس القريب . انه نتيجة هذا الحنين الى الفردوس الاخضر ، فردوس الحداثة ، يوم كان شرقاوي ولدا يبحث عنه بعينيه عبر النوافذ الصغيرة المشرعة على قاعة الاستقبال في المنزل العائلي حيث لا تزال محفوظة الى الآن تذكارات بو عبيد الشرقي ، هذا الصوفي المسلم الكبير ، جد العائلة . اما كلام المسلم الوقور ، والد الفنان ، واما قراءة سيرة الرسول في حلقات العيلة ، واما الاستسلام الطويل الى التحليلات في هذا المنزل الذي يتطاول ، من وراء سطوح مدينة ابي الجعد ، الى السهل الذي يمور بالخضرة في الربيع ويتراءى بلون القرميد في الصيف ويترامى على مد النظر – فانها جميعا قد اناخت بلا نهايتها على نفس شرقاوي الحساسة .

وعليه ، فنتاج شرقاوي هو انعكاس حي صادق لحياته الباطنية . من هنا هذا الاسلوب الخاص الطريف الفذ الذي اثار اعجاب النقد العالمي .

كلا ، لا تعمد النفس الى الكلام ، بل الى الحركات الدقيقة الخفية ، حركات الامواج السماوية .

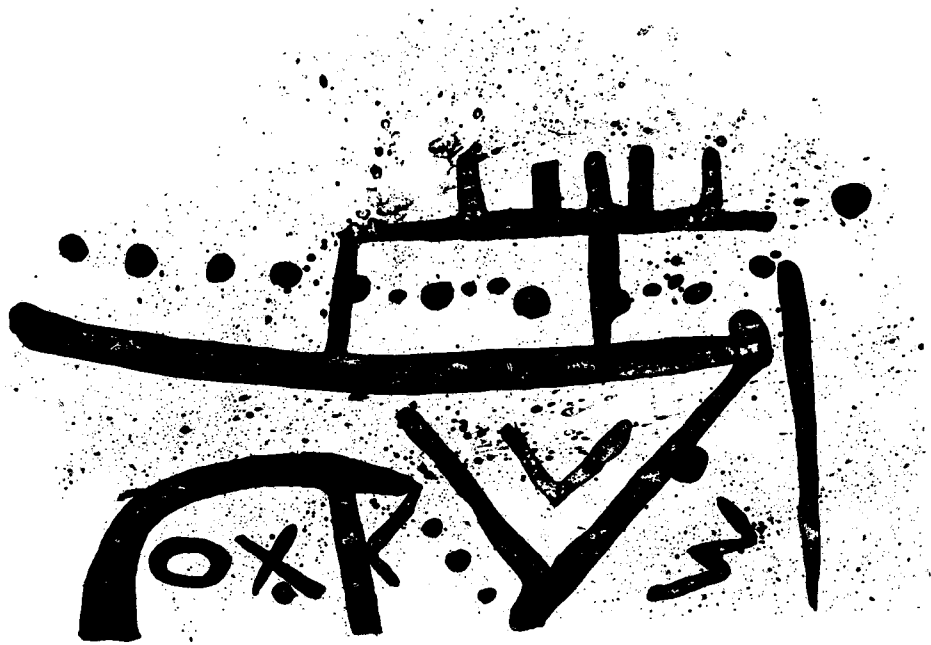

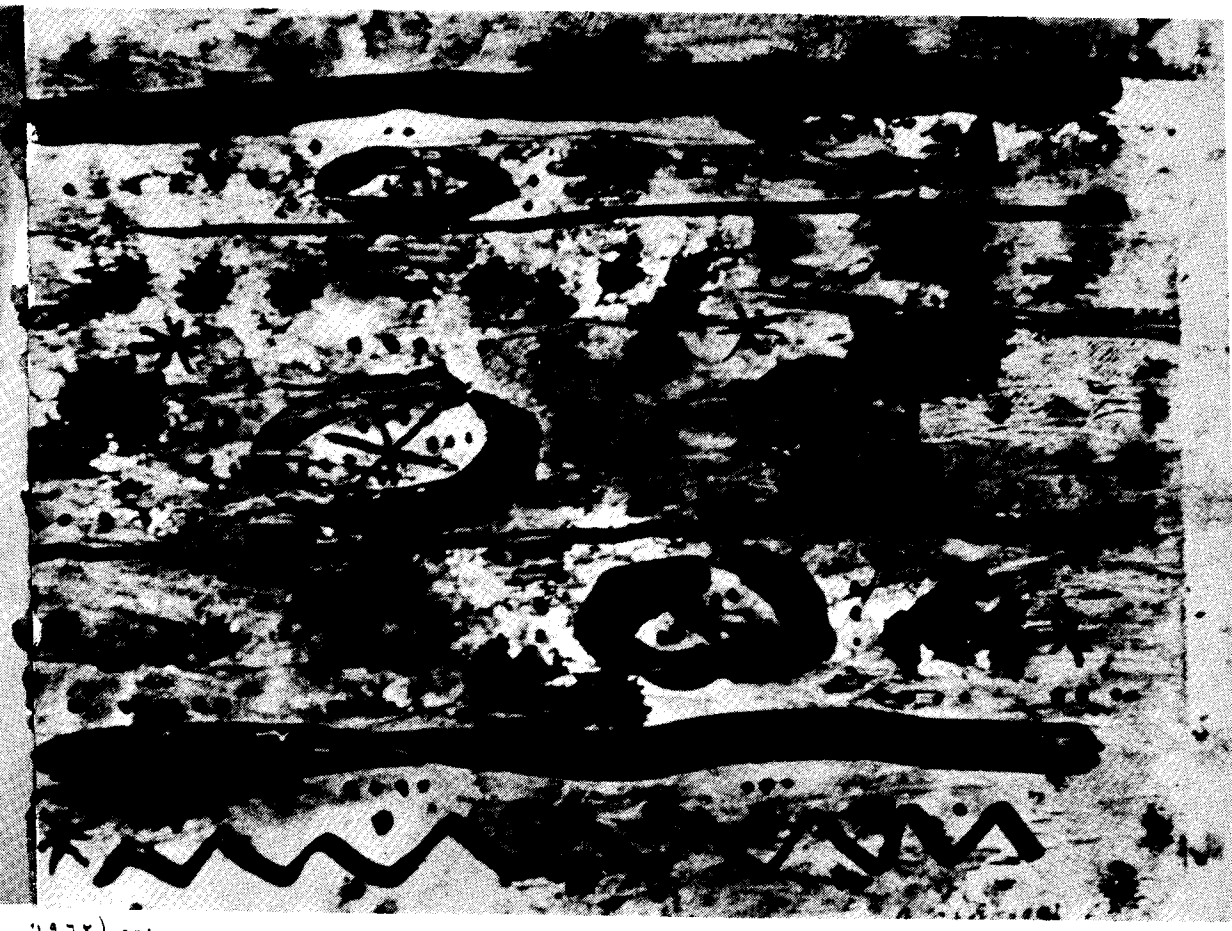

رسم (١٩٦٢)

وهكذا فليس تنظيم المدى في سبيل اثارة التوهم ، بل في سبيل جعل العمق محسوسا. وليس الحجم نتيجة المخروط او الهرمي، بل نتيجة الاسطوانة والدائرة اللتين تتقاطعان وتتعانقان وتتراكبان وتفترقان ثم تأخذ احداهما برقاب الاخرى فتعبران هكذا عن توازن كامل بين الاسلوب والفكرة .

رغم القطع المتوسط عامة ، فان للفنان حس الكبر والفخامة مما يظهره الخط الغليظ والحنية التي ترتد على نفسها في حركة هي دائما عود على بدء. وهذا البناء الذي يبدو كأنه نتيجة احكام علمي انما هو ثمرة حركة عفوية . ذلك بان شرقاوي ، كالولد ، يلقي على مفاتن العالم الذي يحيط به نظرة جديدة ، وقورة ، مشغوفة ، مماثلة ، لم تشوهها بعد ، او بالاحرى لم تفسدها ، معرفة سلم القيم التي لا تنفك موضوعا لاعادة النظر فيها .

وعالم الكائنات والاشياء ، بالنسبة لشرقاوي ، هو موضوع انخطاف دائم. فالاصغر الاصغر والاكبر الاكبر لا يحدثان فيه دوارا، بل انهما، على العكس، مبعث سلام الاعماق.

لوحة (١٩٦١)

كتب بيار كابان في « غاليري ديزار » بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ : « لطالما تحدث الناس عن الفن المقدس ، وكانوا يعنون به فن الكنيسة . اما شرقاوي فقد برهن على ان هذا التعبير بمقدوره ان ينطبق على هذه المحادثات القائمة على المستوى الروحي بين الرسام ومثاله ، هذا المثال الذي يتقبل الرسالة ويمنحه صلاحيات جديدة . يتأصل فن هذا الرسام المغربي الشاب في تبادل نفساني يمتد الى ابعد من تصاوير روو المتعملةالذي يذكرنا به شرقاوي بعض الاحيان » .

وكتبت في دليل شرقاوي للمعرض الذي احياه لدى جان كاستيل ما يلي : «على غرار كلي احتفظ شرقاوي حيال الطبيعة « بموهبة الطفولة المفتونة » . فهو يرسم كما يتنفس . ولكان يأخذ منه العجب مأخذا لو طلب اليه القيام بشعائر صلاة غير تلك. انما الرسم صلاته » .

فاطمي م. الفاطمي